المحاضرة الأولى : الدلالة اللغوية لمصطلح الحجاج

الحجاج في اللغة

يشتق مصطلح « الحجاج »/« argumentation » في اللغة من مادة « حجج »، وهو فعل مضعّف، ويستعمل على هذا النحو : « حجّ »، كما تقول : شدّ، مدّ، مرّ، وغيرها من الأفعال.

و« حاجّ » فعل مزيد بالألف، وهو يفيد المفاعلة، وهذا يقتضي وجود طرفين، كما تقول: قاتل، وجادل، وضارب؛ فكل هذه الأفعال تقتضي طرفين.

ويشتق من هذا الفعل مصدر « الحجاج ».

و« المحاججة » مفاعلة بين طرفين، « يحاجّ »، أو « يحاجج » أحدهما الآخر.

و« الحج » في اللغة القصدُ، في الاستعمال الغالب. قال ابن فارس : الحاء والجيم أصول أربعة : فالأول: القصد، وكل قصد حجّ. ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك ... قال: ومن الباب: المحجّة، وهي جادّة الطريق ...

وهناك دلالات أخرى لهذا اللفظ الحجاج [ارجع إلى معاجم اللغة]

الحجاج في الاصطلاح

أما في الإصطلاح فإن الحجاج مفاعلة بين طرفين يسعيان إلى استظهار الحجج بغرض الإقناع أو الغلبة. قال الأزهري : وقال الليث: الحُجَّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وجمعها حُجَج. قلت: وإنما سميت حُجة لأنها تُحَجُّ أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها. وكذلك مَحَجَّة الطريق هي المقصِد والمسلك. وقال ثعلب حججته أي قصدته. تهذيب اللغة - (ج 1 / ص 421).

وقال الجرجاني في التعريفات : الحجّة: ما دُلّ به على صحة الدعوى. وقيل الحجة والدليل واحد.

وقال ابن منظور : والحُجَّة البُرْهان، وقيل الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقال الأَزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ، والتَّحاجُّ التَّخاصُم، وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه ..

ونستخلص من خلال هذه التعريفات أن فعل الحجاج يكون عادة عند اختلاف وجهات النظر بين المتخاطبين حول قضية ما فيسعى كل طرف لأن يحشد أكبر قدر ممكن من الحجج التي يدفع بها وجهة نظر خصمه فيسفّهه أو يبطله.

الحجاج في معاجم اللغة الفرنسية

أما في معجم () الفرنسي، فإنه يعطي للفظ الحجاج معنيين :

الأول : فعل الحجاج (Action d'argumenter).

والثاني مجموع الحجج التي يقدمها المتكلم للصول إلى نتيجة بعينها (Ensemble d'arguments tendant à une même conclusion).

نلاحظ من خلال هذه التعاريف أنّ المفاهيم الاصطلاحية لألفاظ : الحجاج والحجة متماثلة في اللغة العربية مع غيرها من اللغات الأجنبية.

الحجاج مصطلحا معاصرا

يظهر مصطلح « الحجاج » في الدرس اللساني المعاصر مقابلا لمصطلح « argumentation » في اللغتين الفرنسية والانجليزية. ومع أن استعماله قديم في هاتين اللغتين إلا تأسيسه كمفهوم قائم بذاته يتزامن مع ظهور مصطلح آخر هو مصطلح « البلاغة الجديدة »، وهذا في أشهر الكتب التي تناولت هذا الموضوع ، وهو كتاب الثنائي : حاييم بيريلمان Chaïm Perelman، ولوسي أولبرايت تيتيكا -Lucie Olbrechts Tyteca، الذي يحمل عنوان: مصنف في الحجاج Traité de l'argumentation، وفي العنوان الفرعي : البلاغة الجديدة : la nouvelle rhétorique .

وهو يعرفه كما يلي :

" موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجات ذلك التسليم " [من كتاب عبد الله صوله : في نظريات الحجاج].

ويقول في موضع آخر : " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة ".